

## لاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني تقاطع أم تباين مصطلحي؟

### Inference and Prosthetic Inference Cross or contrast my terms?

رميساء مزاهدية: طالبة دكتوراه

جامعة محمد خيضر بسكرة

تاريخ قبول المقال: 15/09/2018

تاريخ إرسال المقال: 06/07/2018

#### الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الخصوصية الجوهرية اللغوية للحجاج والتقاطعات المصطلحية التي تعتريه؛ وذلك من خلال الوقوف على رصد المفاهيم اللغوية وفق ما وردت في المعاجم اللغوية. وكذا الفصل فيها من وجهة نظر المتخصصين والمشتغلين في مجال الحجاج الذين باينوا وغياروا بينها، ومن بين هذه المصطلحات التي تتعالق وتتنافر مع الحجاج مصطلح الاستدلال والبرهان، لذا سنغنى بتقصي أوجه التقاطع والتباين بينها من زاوية الدلالات اللغوية ومن زاويتي المنطق الطبيعي والصوري؛ للكشف عن مجال اشتغال كل منهم وتحديدده تحديدا دلاليا وظيفيا. حتى يتسنى للباحث الإلمام بكل خبايا مصطلح الحجاج وما يتخلله من مد وجزر. **الكلمات المفتاحية:** الحجاج، الاستدلال، البرهان، المنطق الصوري، المنطق الطبيعي.

#### Abstrac

This study seeks to uncover the intrinsic linguistic peculiarity of the pilgrims and the intersections of the terminologies that they are experiencing. This is done through monitoring the linguistic concepts as stated in the linguistic dictionaries.

As well as the separation from the point of view of specialists and practitioners in the field of pilgrims who Bainoa and Tjiroa among them, and among these terms, which clash with the pilgrims and the term of inference and proof, so we will examine the intersection and the intersection of differences in terms of linguistic signs and angles of natural and visual logic; All of them are specifically identified functionally. So that the researcher to know all the hidden the term pilgrims and the tides

**Keywords:** Pilgrimage, Inference, Proof, Visual Logic, Natural Logic

## مقدمة

شَكل الحجاج ركاما هائلا من الكتابات والمرجعيات النظرية تتجاذبه العديد من المجالات والتخصصات، " إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية...، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة"<sup>1</sup> حيث تسعى كل من هذه التخصصات والحقول المعرفية إلى ضم الحجاج إلى حضيرته الخاصة والاستفادة من إمكاناته. وهذا ما جعل مفهوم الحجاج يُطعم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة تتداخل معه الكثير من المصطلحات تتقاطع معه حيناً وتتعارض معه أحيانا أخرى. لذا سنتقسي هذه الدراسة أوجه التداخل والتعارض بين كل من الاستدلال الحجاجي (theoretical hypothesis) والاستدلال البرهاني heuristic (inference) محاولة إزالة اللثام عن إشكالية كانت مدخل عنوان دراستنا، مفادها: الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني تقاطع أم تباين مصطلحي؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية كان لزاما منا انتهاج كل من المنهج المقارن والوصفي وآلية التحليل، لما تقدمه هذه المناهج من تقنيات تساعد على الوقوف على جوهر الأشياء لتحديد ماهياتها ومفصلاتها وجزئياتها الفارقة لاستخراج التقاطعات والتباينات التي تعتربها

## 1- التقاطعات اللغوية للمصطلحات (الحجاج والبرهان والاستدلال)

مما لا شك فيه أن التحديد والضبط المفاهيمي اللغوي داخل أي مجال معرفي، يعد الخطوة الأولى التي تقود الباحث إلى امتلاك مفاتيح العلوم، " فلا يمكننا أن نفهم قيمة الأشياء التي نتحدث عنها قبل أن نستوعب حدها"<sup>2</sup> قبل أن نستوعب دقائقها وتفصيلها وهذا ما ينطبق على دراسة الحجاج- لذا كان لزاما منا بداية أن نرسم معالم حدود المفاهيم اللغوية والتداخلات التي حدثت على مستواها.

قبل التطرق لمفهوم الحجاج وعلاقاته التباينية وتقاطعاته المصطلحية، لابد من الإشارة بأن مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها<sup>3</sup> تعدد مظاهر الحجاج وتووعها (الحجاج الصريح، الحجاج الضمني، إلخ).

✓ تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها: القضاء،

الفلسفة، المنطق، التعليم، السياسة، الدين إلخ.

✓ خضوع الحجاج في دلالاته لتأويلات متجددة، وطواعية استعمالية.

هذا التعدد والتباين في مرجعيات الحجاج، جعل منه مصطلحا عائما يتميز بالانسيابية؛ وهذا مما شكل في الوقت ذاته صعوبة وثراء تتجاوز له جميع التخصصات؛ فتتشعب المفاهيم وتتداخل المرجعيات

## 1-1 المفهوم اللغوي للحجاج

تجمع المعاجم اللغوية الأساسية في تعريفها للحجاج على ما جاء في " لسان العرب" لـ " لابن منظور" ونورده فيما يلي<sup>4</sup>

**حاججته**: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها.

الحجة هي البرهان أو ما دفع به الخصم، وتجمع الحجة على حجج وحجاج. ويقال: حاجه محاجة و**حجاجا**: أي نازعه بالحجة.

**التجاج هو التخاصم**. والرجل المحجاج هو الرجل الجدل.

**الاحتجاج**، من احتج بالشيء أي اتخذ حجة. ويقال: أنا حاججته فأنا محاجة وحججه أي مغالبه بإظهار الحجة.

نلاحظ من خلال هذا التعريف اللغوي المعجمي بأن لفظة الحجاج تحمل في مضامينها الدلالية والمعنوية مغالبة الخصم بالحجج في موقف تنازع وتخاصم وجدل استدعي الإتيان بحجج من قبل المحاجج وإظهارها للبرهنة على صحة موقفه الفكري أو السلوكي.

ويقابل كلمة الحجاج بالعودة إلى الأصول اللاتينية " كلمة " **Argument** "

فهي من الفعل اللاتيني " **arguere** " حيث تعني جعل الشيء واضحا، لامعا، ظاهرا.

وهي من جذر إغريقي (argues) ἀργυρός ويعني أبيض لامعا<sup>5</sup>

فال معنى اللغوي اللاتيني للحجاج يبين بطريقة مضمرة غير مصرح بها بأن الحجج

هي التي أسهمت في وضوح الفكرة ولمعّانها؛ فالتعريف اللاتيني وقف على اللب والجوهر من الحجاج وهو جعل الأمر واضحا جليا.

وفي اللغة الفرنسية تشير لفظة "argumentation" التي وردت في قاموس (روبير Robert) إلى عدة معانٍ متقاربة، أبرزها<sup>6</sup>

### استعمال الحجج.

فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة ما.  
مجموعة من الحجج تستهدف تحقيق النتيجة ذاتها.

ولا شك أن المعنى اللغوي للحجاج في اللغة الفرنسية لا يختلف في جوهره عن معناه في اللغة العربية، باشتراكهما في المسوغات التي قام من أجلها الحجاج؛ وهي دفاع المحاجج عن صحة أطروحته باستخدام حجج لتوضيح ما ذهب إليه وللوصول إلى النتيجة المبتغاة.

أما في اللغة الإنجليزية فتشير لفظة "Argue" إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره؛ بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons" التي تكون حجة "Argument" مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما<sup>7</sup> المتتبع لهذه التحديدات المعجمية للفظة الحجاج في كل هذه اللغات التي سبق عرضها يجد أنها لا تخرج في دلالتها على حمل مضامين مخصوصة مستمدة من سياقها، والمتمثلة في: "التخاصم والتنازع والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة هنا بمعانيها الفكرية والتواصلية"<sup>8</sup>

لتحقيق نتيجة ذات أثر ملموس في هذا الموقف الفكري والتواصلية يعمد فيه إلى استعمال آليات دفاعا عن صحة أفكاره ومواقفه.

والجدير بالإلماع أن من بين دلالات الجذر اللغوي (ح، ج، ج) البرهان أو هو ما دفع به الخصم<sup>9</sup> ويعرف البرهان "بأنه الحجة الفاصلة البيّنة، يقال: برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة لدد الخصم، فهو مبرهن...، وقد برهن عليه: أقام الحجة"<sup>10</sup>

يقع كل من البرهان (the proof) الحجاج (Pilgrims) في كثير من المواضع مترادفين، حيث ينوب أحدهما عن الآخر، غالبا ما يستعملان بصفتها مصطلحا واحدا ويؤديان وظيفة واحدة وهي الدفاع عن موقف ما لكسب قضية والتغلب عن الخصم؛ أي أن تستدل على ما تقوله، مقدما حججا كافية للالتزام بها<sup>11</sup> من خلال تقصي مفهوم الحجاج والبرهان لغويا تتضح لنا التداخلات والتقاطعات الموجودة بينهما، ويمكن إجمالها في الآتي:

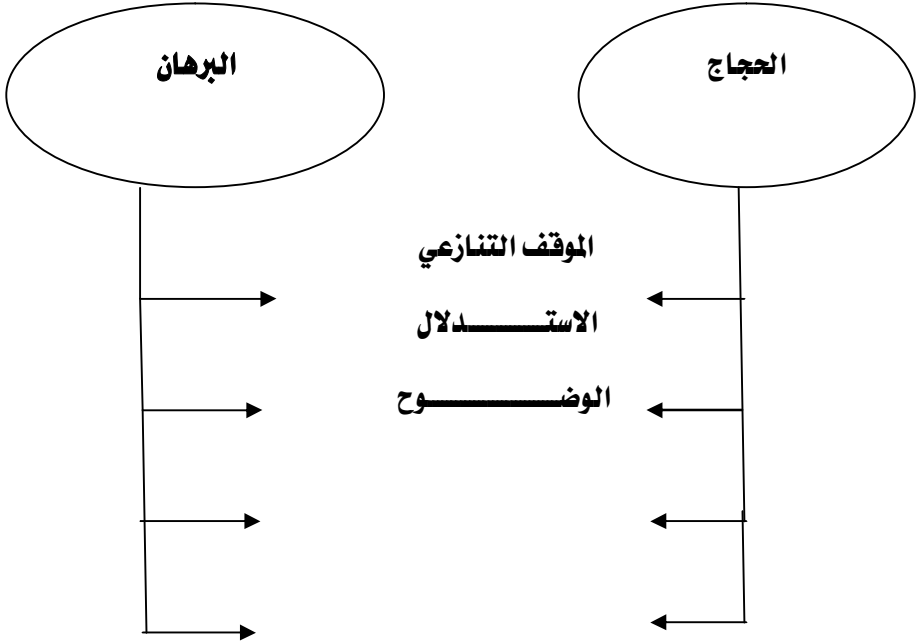
أ- كلّ من الحجاج والبرهان يكون في موقف تنازع مما يستدعي الاستدلال بالحجج والبراهين لإثبات صحة الدعوى.

ب- كلّ من الحجاج والبرهان غايته الوضوح وإزالة اللبس والغموض عن القضايا المدافع عنها حتى تصير واضحة لا يعتريها أي لبس.

ج- كل منهما يشتركان في المسوغات والتي تتمثل في الإتيان بالحجج والبراهين من أجل الوصول إلى النتيجة المستهدفة.

ويمكن تمثيل هذه التقاطعات في الترسيم الآتية: وأساس هذه الفكرة أنّ

**الحجاج = البرهان (انطلاقاً من مجموعة من التقاطعات) الوصول إلى نتيجة معينة**



ترسيمة تمثل التقاطعات بين الحجج والبرهان

## 2- التباينات المصطلحية بين الحجاج (Pilgrims) والبرهان (the proof) والاستدلال (Inference) من وجهة نظر المتخصصين

إذا كانت الدلالات اللغوية تخلط بين مفهوم الحجاج (Pilgrims) والبرهان (the proof) والاستدلال (Inference)، وتدرج مفهوم الحجاج بمعنى البرهان والاستدلال ولا تميز بينها تمييزاً دلالياً وظيفياً.

وحرى بالذكر في هذه النقطة أنّ عدداً من الباحثين وأهل النظر في المجالات الفلسفية واللسانية والتداولية ألحوا على وجوب الفصل أو التمييز بين الحقول الخاصة بكل مفهوم على حدة<sup>12</sup>؛ رغم كون الاستدلال من المفاهيم العابرة للاختصاصات والعلوم وفروعها في مختلف المنظومات العلمية والثقافية، إذ أن يتصل بجدول لغوي ثري تستعمله كل الاختصاصات من قبيل الدليل واللزوم والاستنتاج والاستتباط والبرهان والقياس والحجة، فيها يعقل العقل أوابد الظواهر<sup>13</sup>.

إذن فهو مفهوم عام جداً، لذا سنغنى بتحديد أوجه الاختلاف فيه من زاويتي

المنطق الصوري والطبيعي.

فالاستدلال (INFERENCE) في المنطق الصوري تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم وهو لا ينطلق من فراغ، بل من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات، والمسلمات الشائعة، وهكذا اهتم أرسطو بصور الاستدلال، وقسمه إلى نوعين؛ وقسمه إلى نوعين؛ الاستدلال المباشر قوامه استخراج قضية جديدة من قضية واحدة فقط، دون الاستعانة بأي حد يتوسط بين القضية والنتيجة، أما الاستدلال غير المباشر قوامه التأليف بين قضيتين أو أكثر تنشأ عنها بالضرورة نتيجة، ومن صور هذا النوع الاستدلال القياسي حيث يعرفه أرسطو بأنه قول مؤلف من قول إذا سلم بها، يلزم عنها بالضرورة قولاً آخر، فهو استخلاص حكم من حكم آخر، أو عدة أحكام استخلاصاً تلزمنا به الضرورة المنطقية<sup>14</sup>.

ويعد "البرهان نمط من أنماط الاستدلال يتميز بخاصية اليقين والقطعية والتقنين، حيث ينتمي البرهان في الأصل إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية"<sup>15</sup>. ويعرفه المنطقيون بأنه قياس مؤلف من مقدمات يقينية، فحين يعرفه الرياضيون بأنه ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها"<sup>16</sup>.

بالمقابل تتضح "حقيقة الاستدلال في منطق الخطاب الطبيعي أن يكون حجاجياً لا برهانياً صناعياً"<sup>17</sup>؛ فهذه النقطة تبين موضع التمايز بين الحجاج والبرهان

وتكشف عن طبيعة الاستدلال في كونه استدلالاً طبيعياً غير صورياً؛ " فالاستدلال الطبيعي هو الذي ينجز باللغة الطبيعية ويكون الحامل له هو الخطاب الطبيعي ومن أبرز أنماطه الحجاج" <sup>18</sup> أن الاستدلال الذي يتماشى مع الخطاب الطبيعي هو الاستدلال الحجاجي، أما " مجال الاستدلال الصوري الرمزي هو اللغات الاصطناعية" <sup>19</sup> التي يتماشى معها الاستدلال البرهاني.

فالاستدلال الحجاجي (theoretical hypothesis) إذن يرتبط بالخطاب الطبيعي أو اللغات الطبيعية، بينما يستعمل الاستدلال البرهاني (heuristic inference) في اللغات الصناعية الرمزية <sup>20</sup> وهذا ما يحدو بنا إلى تقصي أوجه التباين والتمايز بين الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني، وتبيان معالم التعارض القائم بينهما ومجال اشتغال كل منهما وفق ما حدده المشتغلون بالحجاج <sup>21</sup>، يبدو هذا التمييز واضحاً في تعريف الحجاج عند طه عبد الرحمن بأنه " فاعلية تداولية جدلية" <sup>22</sup>، وهذه الفاعلية تتعدم في الاستدلال البرهاني، مما يجعل جهد المحاج قائماً على إدراك جانبيين اثنين: <sup>23</sup>

**1- جانب تداولي**، طابعه الفكري للحجاج مقامي واجتماعي يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى إنشاء معرفة عملية موجهة بقدر الحاجة.

**2- جانب جدلي**، يلتزم فيه بصور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة لتحقيق الإقناع.

فإدراك المشارك في العملية الحجاجية للجانب التداولي الجدلي، يحتم عليه القيام بسلسلة من الاستدلالات المباشرة لما هو معروف متداول في البرهنة العلمية، و" هكذا تبنى الانتقالات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع" <sup>24</sup>

فآليات الاستدلالية التي ينطوي عليها الخطاب الطبيعي العادي " ليست إلا تقنيات حجاجية وجدلية، وميزة كل قول حجاجي أنه يزاوج بين الصورة والمضمون لتحصيل الإقناع عكس البرهان الذي يستغني عن المحتوى، ما يؤكد أن البرهان آلية استدلالية فقيرة مقارنة بالحجاج" <sup>25</sup>، وهذا يؤكد أن البرهان آلية استدلالية ضيقة الأفق مقارنة بالحجاج، وهذا ما أثبتته طه عبد الرحمن في دعوته إلى التخلص مما أسماه الإطلاقية البرهانية الأرسطية في الخطاب الطبيعي والتي تتلخص في القول " بإمكانية كل دعوى صحيحة أن تحظى بإثبات قطعي مستند إلى أدلة العقل الخالص في مسلكه

البرهاني الخالي من كل تأثير مضموني ومن كل توجيه معنوي"<sup>26</sup>، فهو لا يهتم بالتأثير بالتأثير في المخاطب ولا بإقناعه أو دفعه إلى العمل على غرار أنواع الخطابات الأخرى التي تعمل على التأثير فيه؛ ولما كانت الفلسفة والآداب خطابات طبيعية، " فلا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صورية، لا هي ارتقت بها إلى درجة البرهان الرياضي، ولا هي هدتها سبل التوجيه العملي، ولا يتحقق هذا وفق طه عبد الرحمن إلا بانتهاج مسالك الحجاج، لأنها وحدها الكفيلة في نظره في إطار مجال التداول ومقتضياته التفاعلية بتحصيل الإقناع والدفع إلى العمل"<sup>27</sup>.

إذن لا غنى للمحاج في الخطاب الطبيعي عن انتهاج مسالك الحجاج، وهذا الأخير لا يستغني عن الاستدلال ولكن ليس الاستدلال البرهاني الصارم، وإنما الاستدلال الحجاجي الذي يزود المحاج بالمنهجية أو الطريقة العقلية التي ينبغي أن يسلكها لأجل إرساء حقيقة في صورة إثبات أو نفي أطروحة أو قضية ما، وما يقتضيه ذلك من مختلف العمليات العقلية المنطقية، ثم تبرير تلك الحقيقة تبريرا حجاجيا"<sup>28</sup>، " فالحجاج لا يهدف إلى تحقيق الإقناع العقلي الخالص، بل يروم غالبا إيقاع التأثير في المتلقي ودفعه إلى القيام بعمل أو الكف عنه أو تبني رأي أو رفضه"<sup>29</sup> ولا سبيل يوصل المحاج إلى تحقيق هذه الغاية إلا عن طريق انتهاج سبل التبرير الحجاجي وتتحقق الاستمالة في الحجاج عموما " باستدلال منطقي قابل للاختيار من قبل المتلقي، ليأتي اختياره اختيارا واعيا وعاقلا"<sup>30</sup>. وهذا ما تتطوي عليه الحجج؛ بمعنى أن تكون منطقية بعيدة كل البعد عن التزمّت والصرامة، للوصول إلى نتائج احتمالية قابلة للاختيار من قبل المخاطب.

لقد ميز المشتغلون بين الاستدلال الحجاجي (heuristic inference) والاستدلال البرهاني (theoretical hypothesis)، وبينوا معالم التعارض القائم بينهما، وكان مدار التمييز والتعارض دائما هو ارتباط الاستدلال الحجاجي بالاحتمال وارتباط الاستدلال البرهاني باليقين؛ فالاستدلال الحجاجي يرتبط " بمقدمات لا تفضي بالضرورة إلى نتائج حتمية مما يجعله قابلا للنقض أو الدحض، ويجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمرا نسبيا بالنسبة للمخاطب"<sup>31</sup>.

بمعنى المقدمات التي ينطلق منها الاستدلال الحجاجي (heuristic inference) هي عبارة عن آراء لا تفضي بالضرورة إلى نتيجة حتمية، فحين نجد أن مقدمات البرهان إثباتات صادقة تسمح بالوصول عبر الانتقالات الاستدلالية إلى نتائج حتمية ضرورية



منطقية على خلاف الاستدلال الطبيعي الحجاجي الذي يتطلب حسب ما أكده شكري المبخوت " الوصول إلى نتائج ليس من الضروري أن تكون صالحة منطقيًا بقدر ما يطلب منها أن تكون ناجحة مستجيبة لأهداف التخاطب والتعامل الاجتماعي" <sup>32</sup>.

في حين الاستدلال البرهاني (**theoretical hypothesis**) هو أن تستبطن من المقدمات نتائج تفضي إليها تلك المقدمات ضرورة بدون أي لبس، فهم يسعون إلى شكلنة الأنظمة بصرف النظر عن محتوياتها، وليس الاستدلال الطبيعي الحجاجي من هذا القبيل، فالحقيقة فيه ليست مضمونة لا ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة ومتعالية وموضوعية شأنها عند المناطقة، إنما الحقيقة في الحجاج نسبية وهي مرتبطة بالمقام <sup>33</sup> والجدول الآتي يحدد التباين والتعارض في مجال وطبيعة اشتغال كل منهما بشكل ملخص، وهو كالآتي <sup>34</sup>

الاستدلال الحجاجي	الاستدلال البرهاني
مسار حوارى يستخدم أحكام القيمة (برهنة جدلية).	منطق صوري لا يقبل اللبس (برهنة تحليلية).
هدفه الإقناع على أسس عقلية.	مساره عقلي يخاطب الإدراك.
برهنة ليست شخصية (موجهة إلى طرف ما وهي ليست ملزمة).	برهنة لا شخصية وهي ملزمة.
مجاله الرأي والممكن (العرف).	مجاله اليقينيّات.
الحجج فيه تكون كثيرة نسبيًا.	حجة واحدة يمكن أن تكون قاطعة.
جمهوره خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني، معني بالبحث عن الأفضل.	جمهور كوني.

والجدير بالإلماع أن **أوزفالد ديكرو (Oswald Ducrot)** قد ميز بين الاستدلال البرهاني (**theoretical hypothesis**) والاستدلال الحجاجي (**heuristic inference**) مركزا على وجه الاختلاف بين النسقين: " فالاستدلال والحجاج يتعلقان بنظامين مختلفين بشكل كامل، نظام ما نسميه عادة المنطق مثلا، ونظام ما سأطلق عليه الخطاب، لا يؤلف الاستدلال، القياس المنطقي مثلا، خطابا بالمعنى القوي الذي أمنحه لهذا اللفظ. فالأقوال التي يتألف منها هذا الاستدلال مستقلة بعضها عن بعض، بحيث

يكون كل قول منها معبرا عن قضية معينة، أي محمدا حالة (أو مجموع حالات) حقيقة أو مفترضة لهذا العالم. لهذا لا يكون تسلسل الأقوال، في استدلال ما، مؤسسا على الأقوال ذاتها لكن على القضايا المتضمنة فيها، على ما تقوله أو تفترضه حول العالم<sup>35</sup>.

**لتوضيح الفرق بين أنواع المقدمات والاستدلالات، نأخذ الاستدلال الآتي<sup>36</sup> :**

**كل إنسان فان**

**زيد إنسان**

**زيد فان**

إن النتيجة التي يؤدي إليها هذا الاستدلال نتيجة حتمية ضرورية، لأن الأمر يتعلق هنا باستدلال منطقي صوري ملزم، استدلال برهاني أو بعبارة أدق بقياس منطقي (syllogisme) أما إذا أخذنا استدلالات أخرى من قبيل.

**الجو غائم، سينزل المطر**

**زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان.**

**أعد الجيش عتاده وعدته، إذا سينتصر على الأعداء.**

فسنجد أنها تتدرج في الحجاج أو الاستدلال الطبيعي. والنتيجة الواردة في هذين المثالين، نتيجة احتمالية، ووجود الغيوم في السماء شرط كافٍ فقط لتحقيق النتيجة (نزول المطر) ولا يمكن اعتباره شرطا ضروريا، والشئ نفسه بالنسبة إلى المثال الثاني، فالاجتهاد غالبا ما يؤدي إلى النجاح، ولكنه ليس شرطا ضروريا وكافيا، والنتيجة هنا متوقعة ومحتملة فقط، وقد يكون الاحتمال قويا أو ضعيفا بحسب قوة الحجة أو ضعفها. فكم من مجتهد خانه الحظ أو أفرط في الاجتهاد والعمل فأصيب بالعياء والإرهاق فرسب في الامتحان، وكم من متقاعد أسعفه الحظ فنجح، والشئ سيان في المثال الثالث؛ فاستعداد الجيش للمواجهة الحربية ماديا ومعنويا، أمر مطلوب في جميع الحالات، فكيف إذا كان هذا الجيش على مقربة من دخول معركة شرسة؟ ومع كل ذلك الاستعداد والإعداد، ليس واردا على جهة اليقين أن ينتصر على أعدائه، ما دامت أسباب الانتصار أو الهزيمة في الحروب لا تنحصر في طرف واحد، ولا في عام وحيد، وهذا ما يجعلنا إزاء استدلال طبيعي لا تكون نتائجه ضرورية ولا حتمية.

أما النتيجة الواردة في القياس المنطقي السالف الذكر فإنها حتمية ضرورية، وكون زيد إنسانا شرط ضروري وكاف لتحقيق النتيجة (زيد فان)، والعلاقة بين القضيتين هي علاقة لزوم أو استلزام منطقي.

ويتسم الاستدلال أيضا بمزايا التعدد والتباين التي تسمح بانتقاء ما يشاكل الخطاب الطبيعي، وتحديد بشكل صميمي ما ينتسب إلى المنطق، ومن ثم معرفة العلاقة بين الحجاج والاستدلال، خصوصا إذا علمنا أن الاستدلال أنواع، فهناك الاستدلال المباشر والاستدلال غير المباشر، الاستدلال الاستقرائي أو الاستنباطي، الاستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني<sup>37</sup>

### نخلص مما تقدم إلى مجموعة من النتائج

✓ لفظ الاستدلال (Inference) هو المصطلح الأعم الذي يشملها جميعها، " فكل حجاج استدلال، وليس كل استدلال حجاجا، وكل برهنة أو استنباط وقياس تعتبر استدلالا والعكس غير صحيح " <sup>38</sup> بمعنى كل برهان استدلال، كل قياس استدلال، كل حجاج استدلال... وهكذا دواليك، والعكس غير صحيح فليس كل استدلال حجاجا، وليس كل استدلال قياس، وليس كل استدلال برهان؛ لأن هنالك أنماط عديدة من الاستدلال لا تقتصر على نمط واحد وقانون واحد؛ فعلاقة كل نمط من أنماط الاستدلال بالاستدلال علاقة خاص بعام، فمجال الاستدلال يتسع ليشمل كل التخصصات فتندرج فيه كل المصطلحات على اختلاف جذرها اللغوي.

✓ فالاستدلال الحجاجي (heuristic inference) هو خاصية مباطنة للخطاب الطبيعي، لا اللغات الاصطناعية والرمزية مثل المنطق، فالحجاج يختص بالخطابات الطبيعية التي تتسم بالخصوبة والمرونة والالتباس والتداول والتفاعل الاجتماعي والتي تعنى بتحديد قيمته وتفتح له المجال لتعدد القراءات على عكس القضايا البرهانية الصارمة التي تقوم على الصورية والصرامة ولا تقبل التأويلات.

✓ الاستدلال البرهاني (theoretical hypothesis) متعلق بالأنساق الصورية الصناعية، أي الأنساق الرمزية، ومن ثم لا تقاس قيمة البرهان برأي أو موقف الآخر منه وتقييمه له، بل قيمته مباطنة له.

✓ الاستدلال الحجاجي مغاير للاستدلال البرهاني، فالاستدلال البرهاني " يجنح إلى اللزوم المنطقي في إطار اليقينيات <sup>39</sup> أي ينطلق من مقدمات تستلزم بالضرورة نتائج حتمية، بخلاف الاستدلال الحجاجي الذي يقوم " على منطلقات غير يقينية <sup>40</sup> تكون نتائجها احتمالية.

✓ الاستدلال البرهاني يهتم بترتيب الحقائق، بعكس الحجاج الذي يهتم بترتيب القيم المتعلقة بالمحيد والمحتمل<sup>41</sup>.

✓ الصدق الداخلي في الاستدلال البرهاني وقابليته الرمزية (تحرره من ليس الدلالة والتأويل) وتجعله أنسب لفضاء الرياضيات دون غيرهما، لأنه يستعمل قواعد بنائية وعلاقات رمزية وحيدة الدلالة تتطلب تسلسلا صارما للقضايا، أما الاستدلال الحجاجي فهو لا يملك صرامة وإلزامية البرهان<sup>42</sup>

ولكن قد يرد الاستدلال البرهاني (theoretical hypothesis) ويصاغ أحيانا في قالب لغوي، فهل يظل بذلك مختلفا اختلافا بينا عن الاستدلال الحجاجي؟ يمكن أن نقول إن البرهان يفيد من الحجاج في صوغ استدلالاته في قالب لغوي، لكن الحجاج ليس هو البرهان؛ فالعبارات التي ترد فيها المصوغات البرهانية توجد مستقلة على بعضها البعض، وتتأسس فيما بينها على أساس علاقات وقوانين صورية لا تراعي معاني هذه العبارات ومحتواها، ولا إحالتها الخارجية، حيث يتم الانتقال بين العبارات وفق نسق صوري بحت، أما الحجاج فتعالق الملفوظات فيه يستجيب لاعتبارات داخلية محضة، مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته، ويستجيب كذلك للظروف السياقية والمقامية التي تمنحه طبيعته الحجاجية.

✓ الحجاج (Pilgrims) يقبل الورد في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم التصريح بكل مكوناته.

✓ " الحجاج لا يقاس بمقياس الصواب والخطأ، وإنما بمعايير القوة والضعف والنجاح والفشل، والكفاية وعدم الكفاية، لأن غاية الحجاج ليست هي الصواب والصحة كما هو الحال في البرهان، بل التأثير"<sup>43</sup> وإفحام وإقناع المتلقي ودفعه إلى الفعل أو الترك، وغاية البرهان هي الإلزام باتباع طرائق في الاستدلال مغلقة وصماء لتبيان الحقيقة المطلقة.

✓ يتميز الاستدلال البرهاني باستقلاله التام عن الذات الإنسانية وما يتعلق بها في بنائه وصياغته، أما الاستدلال الحجاجي فلا يكون له معنى إذا لم يتم في سياق تداولي تفاعلي، فهو فاعلية خطابية تقتضي تفاعل الذوات، فهو بذلك غير مستقل لا عن منتج ولا متلقيه.

## الهوامش والمراجع

- (1) محمد طروس، النظرية الحجاجية، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص6.
- (2) شيشرون، الجمهورية (كتاب 1، باب 24، فقرة 38) نقلا عن عبد الرزاق بنّور، جدل حول الخطابة والحجاج، الدار العربية للكتاب، تونس 2008، ص21.
- (3) الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن مؤلف الحجاج - مفهومه ومجالاته- إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، ج3، ص30.
- (4) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419، 1999، ج3، ص53، 54، مادة (حجج).
- (5) عبد الرزاق بنّور، جدل حول الخطابة والحجاج، ص27.
- (6) Le grand Robert, Dictionnaire de la langue française, T.1 ; Paris1989, p :535.
- (7) نقلا عن هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب (المساكين ل الرافعي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص الأدب العربي ونقده، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ورقلة، 2003م، ص15.
- (8) الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ضمن مؤلف الحجاج - مفهومه ومجالاته- إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، ج3، ص32.
- 9 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص53، (مادة حجج).
- 10 المصدر نفسه، ج1، ص394 (مادة برهن).
- 11 زكرياء السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع (إريد، الأردن، ط1، 2014، ص76.
- 12 المرجع نفسه، ص24.
- 13 شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر كلية الآداب والفنون والإنسانيات بجامعة منوبة، ط1، 2006، ص17.
- 14 رضوان الرقبى، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، عالم الفكر، العدد 02، المجلد 40، أكتوبر، ديسمبر، 2011، ص78.

- 15 **أمال يوسف المغامسي**، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، الدار المتوسطة للنشر، الجمهورية التونسية، ط1، 2016، ص27.
- 16 **عبد العالي قادا**، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص20.
- 17 **طه عبد الرحمن**، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص65.
- 18 **أبو بكر العزاوي**، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2016، ص22.
- 19 **المرجع نفسه**، ص22.
- 20 **اللغات الاصطناعية فإنها موضوعة لتلبية الحاجات والضرورات العلمية**، فهي تعد صياغة المعارف والمعلومات، وكذا مجرد وسيلة للحساب (وهو ما يمكن أن تقوم به الآلة)، الموضوعات المرتبطة بها إما فارغة (أي تحصيل حاصل) وإما محددة بشكل كلي منذ البداية، بخلاف اللغات الطبيعية التي هي وسيلة للحوار ووسيلة لإبداع المعارف وتمثيلها، والتي يتم إنشاء موضوعاتها أثناء الحوار وداخل السياق. (أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2016، ص18، 19)
- 21 **عبد الله صولة**، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص31، وينظر: عبد العزيز لحويديق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج3، الحجاج وحوار التخصصات، إعداد وتقديم الدكتور حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص34.
- 22 **طه عبد الرحمن**، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص65.
- 23 **المرجع نفسه**، ص65.
- 24 **المرجع نفسه**، ص65.
- 25 **رضوان الرقبى**، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص81.
- 26 **المرجع نفسه**، ص81.
- 27 **المرجع نفسه**، ص81.
- 28 **الحبيب أعراب**، الاستدلال الحجاجي، ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم الدكتور حافظ إسماعيلي علوي، ج3، الحجاج وحوار التخصصات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص67.
- 29 **أمال يوسف المغامسي**، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، ص28.

- 30 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 109.
- 31 أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية، ص 27.
- 32 شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص 21.
- 33 عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطاب الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه، ضمن مؤلف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمّادي صمّود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب منوبة، سلسلة آداب، مجلد xxxix، ص 300.
- 34 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 31.
- 35 زكرياء السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص 27.
- 36 أبو بكر العزاوي، من المنطق إلى الحجاج، ص 19، 20.
- 37 المرجع نفسه، ص 23.
- 38 المرجع نفسه، ص 22.
- 39 عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص 22.
- 40 المرجع نفسه، ص 22.
- 41 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 125.
- 42 الحبيب أعراب، الاستدلال الحجاجي، ص 54.
- 43 المرجع نفسه، ص 54، للتعلم أكثر في الاختلاف بين البرهان والحجاج ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2008، ص 69، وينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، ص 19، 20، 21، 22.